(قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله)

الحمد لله الذي اصطفى من خلقه رسلًا، واختار منهم أولي العزم، وخص سيدنا محمدًا ﷺ بفضائل عظيمة، ورفع له ذكره، وأعلى قدره، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسله رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من أعظم ما ينبغي أن يعرفه المسلم قدر النبي محمد ﷺ ومكانته عند ربه سبحانه وتعالى.

فنحن لا نتحدث عن رجل عظيم في التاريخ فحسب، ولا عن قائد نجح في بناء أمة، وإنما نتحدث عن رسول اصطفاه الله، واختاره لحمل آخر رسالات السماء إلى أهل الأرض، وكرمه الله بفضائل عظيمة، ورفع ذكره، وأعلى شأنه، وأبقى سنته حجة على الناس إلى قيام الساعة.

ومن أعظم الأدلة على رفع قدره ﷺ قول الله تعالى:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4].

لقد رفع الله ذكر نبيه ﷺ، فما من مكان يرفع فيه الأذان إلا ويذكر فيه اسم سيدنا محمد ﷺ، وما من مسلم يدخل في الإسلام إلا ويشهد أن محمدًا رسول الله، وما من صلاة يؤديها المسلم إلا ويصلي فيها على سيدنا محمد ﷺ.

ومن عظيم قدر النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى خصه بخطاب التكريم في القرآن، فناداه بأشرف الأوصاف، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، بينما ذكر عددًا من الأنبياء بأسمائهم، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى.

ومن أعظم مظاهر تكريم الله له أن الله وملائكته يصلون عليه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

فيا لها من منزلة عظيمة!

ومن قدر النبي ﷺ عند ربه أن الله جعل رسالته خاتمة الرسالات، وجعله خاتم النبيين، فقال سبحانه:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40].

فلا نبي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، ولذلك كان واجبًا على الناس أن يؤمنوا به ويتبعوه.

ومن تكريم الله لنبيه ﷺ أن جعله رحمة للعالمين، فقال سبحانه:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107].

فقد جاء ﷺ بدين أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل.

ومن آثار هذه الرسالة العظيمة أن الله جعل أمة سيدنا محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، فقال سبحانه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: 110].

ومن أعظم الأدلة على مكانته ﷺ أن الله جعل طاعته من طاعة الله، فقال:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80].

فمكانة النبي ﷺ عندنا تظهر عندما نأخذ سنته بجدية، ونقدم هديه على أهوائنا وعاداتنا.

ومن أعظم مظاهر محبة الله لنبيه ﷺ أن الله جعل اتباعه طريقًا لمحبة الله، فقال:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31].

فيا من يقول: أحب الله، هذه هي الطريق.

ويا من يقول: أحب رسول الله ﷺ، فليظهر ذلك في صلاته، وفي معاملاته، وفي بيته، وفي أخلاقه.

أيها المسلمون:

ومن أعظم ما خص الله به نبيه ﷺ المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].

والمقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ الشفاعة العظمى للخلق يوم القيامة. وفي ذلك اليوم العظيم يجتمع الأولون والآخرون في موقف شديد، وتدنو الشمس، ويشتد الكرب، فيبحث الناس عمن يشفع لهم عند ربهم.

فيأتون آدم عليه السلام، فيعتذر، ثم يأتون نوحًا عليه السلام، ثم إبراهيم عليه السلام، ثم موسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام، وكل واحد منهم يعتذر عن الشفاعة في ذلك الموقف، حتى يصلوا إلى سيدنا محمد ﷺ.

فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك.

فيقول ﷺ: «أنا لها».

ثم يأتي فيسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه من المحامد ما لم يفتحه على أحد قبله، ثم يقال له:

«يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع». متفق عليه.

فأي منزلة أعظم من هذه المنزلة؟ وأي تكريم أعظم من أن يكون نبينا ﷺ صاحب الشفاعة العظمى في ذلك الموقف الذي يحتاج فيه الخلق إلى رحمة الله؟

وقد قال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم.

ومن رحمته ﷺ بأمته أنه ادخر دعوته المستجابة شفاعة لها يوم القيامة، فقال:

«وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» رواه مسلم.

فيا عباد الله، هذا نبيكم ﷺ، الذي لم يكن همه نفسه، بل كان يحمل هم أمته، ويدعو لها، ويرجو لها الخير في الدنيا والآخرة.

ومن قدره ﷺ عند الله أن الله أخبر بعظيم خلقه، فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وهنا يأتي الجانب الذي ينبغي أن نراه في حياتنا: إذا عرفنا قدر النبي ﷺ، فلا بد أن يظهر ذلك في أخلاقنا.

كان ﷺ صادقًا أمينًا، رحيمًا متواضعًا، عادلًا، حسن المعاملة.

فإذا دخلنا بيوتنا فلنتذكر رحمته بأهله، وإذا تعاملنا مع الناس فلنتذكر أمانته وصدقه، وإذا قدرنا على من ظلمنا فلنتذكر عفوه، وإذا اختلفنا مع غيرنا فلنتذكر حلمه وحسن حكمته.

قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21].

فلنسأل أنفسنا: ماذا قدمنا من سنة رسول الله ﷺ في بيوتنا؟ ماذا علمنا أبناءنا من سيرته؟ كم من سنته نطبق في معاملاتنا؟ وهل يرانا الناس في أخلاقنا فيتذكرون أخلاق النبي ﷺ؟

إن الأمة التي تعرف قدر نبيها لا تكتفي بذكره في المناسبات، بل تجعل سنته حياةً ومنهجًا.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عبد الله السيد رحيم** – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.